مع كتاب الله

لفضيلة الشيخ أحمد عبد الرحيم السايح

من الأصول الأساسية التي تجمع المسلمين، وتعمل على حمايتهم.. أن مصدر التشريع عندهم واحد.. ومصدر التشريع الواحد هذا ليس مستورداً من الشرق، ولا من الغرب.. ولا هو من الأفكار التي دبجها البشر.. ولا يقبل الخلط بينه وبين المذاهب التي روج لها سماسرة القوانين الوضعية.. ولا يقبل أن يؤخذ بعضه ويترك بعضه.

إن مصدر التشريع الواحد هذا.. هو القرآن الكريم، وسنة الرسول الأمين محمد عليه الصلاة والسلام.. والقرآن الكريم هو الكتاب المجيد الذي أنزله الخالق لإصلاح الخلق، وإنقاذ الإنسانية من التيه والأوهام والتصورات الباطلة، والفلسفات المدمرة.

والقرآن الكريم لا يختلف في سوره، ولا في آياته، ولا في ألفاظه، ولا في حروفه.. فهو واحد عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها.. ولا يضر تفاوت العلماء في فهم مدلول ألفاظه.. فقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى، أن تتفاوت العقول والأفهام من إنسان إلى إنسان، ومن جيل إلى جيل، ومن مكان إلى مكان..

لكن هذا التفاوت لم يصرف المسلمين أبداً عن الإقرار بأن القرآن الكريم، الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم، واحد في سورة وآياته وألفاظه وحروفه. قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[1].

وهذه الحقائق لم تفت بعض الدارسين من عقلاء علماء أوربا. فهذا العالم الإنجليزي: يورك يقول: (والقرآن الكريم بالإضافة إلى كونه من أجمل الروائع الأدبية في العالم كله.. دستور كامل من القوانين الأخلاقية والمدنية والعسكرية والاجتماعية.. وهو دستور يضبط سلوك المسلمين الذين يجب أن تكون جميع أفعالهم بمقتضى تعاليم القرآن الكريم.. أما كون المسلمين يعتبرون أن قوانين القرآن ثابتة ومعصومة عن الخطأ. فيتضح من الحقيقة القائلة بأنه بالرغم من انقضاء ثلاثة عشر قرنا ((أربعة عشر قرنا)) على نزول القرآن الكريم فإنه لم يتعرض لأقل تغيير أو تبديل، وبأن كل كلمة من كلماته وكل حركة من حركاته قد بقيت كما خرجت من بين شفتي رسول الله، وسيبقى هكذا دون أي تبديل أو تحريف. القرآن الكريم خالص من

---

1 الحجر: الآية رقم 9.

التدخل الإنساني. وهذه حقيقة لا يمكن أن تقال لا كليا ولا جزئيا عن سائر الكتب المقدسة للأديان الأخرى"[2]

والمسلمون جميعا على تباين أقطارهم، وتباعد ديارهم، يرجعون إلى القرآن الكريم، لأنه المنهاج الأمثل، الذي ارتضاه الله للإنسانية، وقد اشتمل القرآن والسنة، على العقائد، والعبادات والمعاملات، والحقوق الشخصية.. وثروة القرآن لا تقف عند حد الاعتقاد الصحيح وتوحيد الخالق، بل تزيد عليه تهذيب السلوك، وتربية العقل والوجدان وتصحيح المعاملات وتطبيق قواعد العدل..

وقد احتوى القرآن الكريم، على أنواع من الأعمال التي كلف بها المسلمون كالعبادات المحضة، والمالية والبدنية، والاجتماعية وهي: الصلاة، والزكاة، والصوم, والحج.. وقد اعتبرت هذه العبادات بعد الإيمان بالله أساس الإسلام. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان"[3].

ومن الأعمال التشريعية التي أتى بها القرآن الكريم: تشريعات تأمين الدعوة، وتنظيم الجهاد في سبيل الله، وما يتعلق بأسرى الحرب، وتشريعات الأسرى، وما يتعلق بالزواج والطلاق والأنساب والمواريث، وسائر الأحوال الشخصية، وتشريعات العهود والمواثيق، والعلاقات الاقتصادية والمادية.. بين أفراد المجتمع من بيع وإجارة ورهن، وغير ذلك مما يندرج تحت باب المعاملات المباحة والمحرمة، ثم التشريعات الخاصة بتوقيع الجزاءات والعقوبات على الجرائم كالقصاص في القتل، وحد الزاني، وحد القاذف، وحد السارق، وحد قاطع الطريق[4].

وما دام الأمر كذلك.. فإن الله سبحانه وتعالى، يدعو المسلمين إلى الأخذ بما في القرآن الكريم. فهو إلى جانب ما له من فوائد تجل عن الحصر، من أكبر عوامل توحيد المسلمين، وجمع كلمتهم، ولم شملهم.. قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا

---

2 انظر: الثقافة الإسلامية من بعض زواياها ص 69 طبع كراتشي ((مجموعة بحوث نشرتها الأمانة العامة لمؤتمر العالم الإسلامي)).

3 انظر: التاج الجامع للأصول. الجزء الأول ص14. رواه البخاري ومسلم.

4 انظر: أطوار الثقافة والفكر. للأستاذ علي الجندي وآخرين. ص337 طبع الأنجلو مصرية.

تَفَرَّقُوا..}[5] وحبل الله كما جاء في الحديث عن ابن مسعود، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "حبل الله هو القرآن".

وروى ابن أبي شيبة وابن جرير عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: "كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض".

وجاء في تفسير المنار:" أن العبارة تمثيلية شبهت فيها حالة المسلمين في اهتدائهم بكتاب الله، أو في اجتماعهم وتعاضدهم وتكاتفهم، بحالة استمساك المتدلي من مكان عال بحبل متين، يأمن معه السقوط.. والمختار. هو ما ورد في الحديث المرفوع من تفسير حبل الله بكتابه. ومن اعتصم به كان أخذاً بالإسلام".

ولا يظهر تفسيره بالجماعة والاجتماع وإنما الاجتماع هو نفس الاعتصام فهو يوجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه. عليه نجتمع، وبه نتحد. لا بجنسيات نتبعها، ولا بمذاهب نبتدعها، ولا بمواضعات نضعها، ولا بسياسات نخترعها[6].

فالله سبحانه وتعالى أوجب علينا التمسك بكتابه وسنة نبيه، والرجوع إليهما عند الاختلاف. وأمرنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة، اعتقاداً وعملاً. وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات، الذي تتم به مصالح الدين والدنيا، والسلامة من الاختلاف. وأمر بالاجتماع، ونهى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين..[7].

وهناك آيات كثيرة.. تبين أن القرآن. هدى.. ونور.. وبرهان.. وشفاء.. ومن هذا قوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[8].

والمراد بالنور هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه النبي صلى الله عليه وسلم.. ثانيها: إنه الإسلام.. ثالثها: إنه القرآن.

والمراد بالكتاب المبين. القرآن.. ولولا عطفه على النور. لما فسروا النور إلا به. فإن الأصل في العطف أن يكون المعطوف غير المعطوف عليه، ولكن العطف قد يرد للتفسير..

---

5 سورة آل عمران: الآية رقم 103.

6 انظر: تفسير المنار. الجزء الرابع. ص20 الطبعة الأولى.

7 راجع: تفسير القرآن. للقرطبي. الجزء الرابع ص159.

8 سورة المائدة. الآيتان 15، 16.

وهو الذي اختاره هنا لتوافق هذه الآية وما بعدها **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً}**[9].

والقرآن هو القاعدة الروحية التي تنطلق منها الإمدادات الإلهية والومضات السماوية.. ولهذا صار قوة فاعلة ومؤثرة، بل إن فاعليته شملت حياة الأفراد والجماعات من جميع الجوانب. وإذا كان الإنسان ذلك الكائن الحي المكلف لا وجود له، ولا حياة، بغير الروح والقلب والعقل.. فإن المسلمين لا كيان لهم، ولا حياة، ولا شخصية.. يغير القرآن فهو لهم الروح والعقل والقلب، وهو لهم الضياء والغذاء والشفاء. تنشده الأمة فتجد فيه مبتغاها من التشريعات الفردية والعلائق الأسرية، والمعاملات الاقتصادية والقوانين المدنية والأنظمة الدولية.

وبعبارة أدق وأوجز.. تجد فيه الأمة كل ما تحتاج إليه في حياتها العامة والخاصة والدين والدنيا.

ولقد اشتمل القرآن الكريم على ستة ألاف ومائتين وستة وثلاثين آية.. احتوت جملة وتفصيلا على العبادات والعقائد والتكاليف والأصول والأحكام والأصول، والحكام والمعاملات وعلاقات الأمم والشعوب، في السلم والحرب، وسياسة الحكم، وإقامة العدل، والعدالة الاجتماعية، والتضامن الاجتماعي، وكل ما يتصل ببناء المجتمع، ورسم شخصية المسلم الكامل خلقا وأدبا وعلما.

ومن الآيات سبعمائة وخمسون آية كونية وعلمية، احتوت أصولا وحقائق تتصل بعلوم الفلك والطبيعة، وما وراء الطبيعة والأحياء والنبات، والحيوان، وطبقات الأرض، والجنحة، والوراثة والصحة والصحة الوقائية، والتعدبن، والصناعة، والمال، والاقتصاد، وغير ذلك من المواعظ والأمثال والقصص، وشتى أمور الدين والدنيا.. ومما كان محلاً للدراسة والاستنتاج والتأصيل والبحث والتنقيب، وكان أساساً لعلوم الفقه والتفسير، والحديث والأصو ل، والأخلاق، والاجتماع والبلاغة والأدب، والطب واللغة، والنحو، والهندسة، والرياضيات، والطبيعة والكيمياء، وسائر أنواع الفنون التي ازدهرت في ظل الحضارة الإسلامية.

وفي القرآن الكريم كثير من الحقائق العلمية الكونية، والنواميس الطبيعية. جاءت في

---

9 انظر: تفسير المنار للشيخ رشيد رضا. الجزء السادس صلى الله عليه وسلم 403.

معرض الاستدلال على قدرة الله ووحدانيته ومن هذا قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ..}[10].

وكذلك يخبر القرآن عن وقائع ماضية طمست الدهور معالمها، وليس لأحد علم بها.. قال تعالى: {تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا}[11].

ويخبر أيضا عن وقائع مستقبلة لم تكن وقعت حين نزوله، ومن هذا قوله تعالى: {غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ} [12] وأن الباحث في القرآن بصدق، وإمعان نظر.. يلاحظ أن آيات القرآن الكريم، قد اتسقت على كثرتها، واتفقت المبادئ والأصو ل، في كل الموضوعات على تعددها وتنوعها. قال تعالى: {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}[13].

والتناسق المطلق الشامل الكامل، هو الظاهرة التي لا يخطئها من يتدبر هذا القرآن أبداً، ومستوياتها ومجالاتها، مما تختلف العقول والأجيال في إدراك مداها. ولكن كل عقل وكل جيل يجد منها بحسب قدرته وثقافته وتجربته وتقواه، ما يملك إدراكه، في محيط يتكيف بمدى القدرة والثقافة والتجربة والتقوى.

ومن ثم فإن كل أحد، وكل جيل، مخاطب بهذه الآية. ومستطيع عند التدبر وفق منهج مستقيم. أن يدرك من هذه الظاهرة، ظاهرة عدم الاختلاف أو ظاهرة التناسق ما تهيئه له قدرته وثقافته وتجربته وتقواه.

تتجلى هذه الظاهرة. ظاهرة عدم الاختلاف. أو ظاهرة التناسق. ابتداء في التعبير القرآني، من ناحية الأداء وطرائقه الفنية.. ففي كلام البشر، تبدو القمم والسفوح، التوفيق والتعثر. القوة والضعف. التحليق والهبوط. الرفرفة والثقلة. الإشراق والانطفاء.. إلى آخر الظواهر التي تتجلى معها سمات البشر. واخصها سمات التغير، والاختلاف المستمر الدائم

---

10 سورة الأنبياء: الآية رقم 30.

11 سورة هود: الآية رقم 49.

12 سورة الروم: الآيات 2، 3، 4.

13 سورة النساء: الآية رقم 82.

من حال إلى حال.

يبدو ذلك في كلام البشر واضحا، عندما تستعرض أعمال الأديب الواحد، أو المفكر الواحد، أو الفنان الواحد، أو السياسي الواحد، أو القائد العسكري الواحد. أو أي فرد كان في صناعته، التي يبدو فيها الوسم البشري واضحاً، وهو التغير والاختلاف.. هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح، أن عكسها وهو: الثبات والتناسق. هو الظاهرة الملحوظة في القرآن ونحن نتحدث فقط عن ناحية التعبير اللفظي، والأداء الأسلوبي فهناك مستوى واحد في هذا الكتاب المعجز، تختلف ألوانه باختلاف الموضوعات التي يتناولها، ولكن يتحد مستواه وأفقه، والكمال في الأداء بلا تغير ولا اختلاف، من مستوى إلى مستوى.. كما هو الحال في كل ما يصنع الإنسان.. ويدل على الصانع. يدل على الموجود الذي لا يتغير من حال إلى حال، ولا تتوالى عليه الأحوال.

وتتجلى ظاهرة عدم الاختلاف.. والتناسق المطلق الشامل الكامل بعد ذلك في ذات المنهج الذي تحمله العبارات ويؤديه الأداء، منهج التربية للنفس البشرية، والمجتمعات البشرية، ومحتويات هذا المنهج وجوانبه كثيرة.

ومنهج التنظيم للنشاط الإنساني للأفراد وللمجتمع الذي يضم الأفراد. وشتى الجوانب والملابسات التي تطرأ في حياة المجتمعات البشرية على توالي الأجيال.. ومنهج التقويم للإدراك البشري ذاته، وتناول شتى قواه وطاقاته وإعمالها معا في عملية الإدراك.

ومنهج التنسيق بين الكائن الإنساني بجملته، في جميع مجتمعاته وأجياله ومستوياته. وبين هذا الكون الذي يعيش فيه. ثم بين دنياه وأخرته. وما يشجر في العلاقة بينهما من ملابسات لا تحصى في عالم كل فرد، وفي عالم الإنسان، وهو يعيش في هذا الكون بشكل عام.

وإذا كان الفارق بين صنعة الله وصنعة الإنسان، واضحاً كل الوضوح، في جانب التعبير اللفظي، والأداء الفني. فإنه أوضح من ذلك في جانب التفكير، والتنظيم، والتشريع.. فما من نظرية بشرية، وما من مذهب بشري. إلا وهو يحمل الطابع البشري جزئية النظر والرؤية، والتأثر الوقتي بالمشكلات الوقتية.. وعدم رؤية المتناقضات في النظرية أو المذهب أو الخطة، التي تؤدي إلى الاصطدام بين مكوناتها ــ إن عاجلاً وإن آجلاً ــ كما تؤدي إلى إيذاء بعض

الخصائص في الشخصية البشرية الواحدة التي لم يحسب بعضها، أو في مجموعة الشخصيات الذين لم يحسب حساب كل واحدة منها.. إلى عشرات ومئات من النقائض والاختلاف. الناشئة من طبيعة الإدراك البشري المحدود، ومن الجهل البشري بما وراء اللحظة الحاضرة في أية لحظة حاضرة.. وعكس ذلك كله هو ما يتسم به المنهج القرآني الشامل المتكامل، الثابت الأصول، ثابت النواميس الكونية، الذي يسمح بالحركة الدائمة مع ثباته، كما تسمح بها النواميس الكونية[14].

والإسلام في القرآن الكريم.. منهج وهو منهج ذو خصائص متميزة: من ناحية التصور الاعتقادي، ومن ناحية الشريعة المنظمة لارتباطات الحياة كلها. ومن ناحية القواعد الأخلاقية التي تقوم عليها هذه الارتباطات، ولا تفارقها. سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. وهو منهج جاء لقيادة البشرية كلها[15].

والقرآن الكريم جاء بتشريعات عادلة، وقد ألفت من مواد تتضمن أحكاما كلية، ومبادئ عامة، في كل فروع التشريع.. وصدق الله العظيم في قوله: **{وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً}**[16]. وقوله تعالى: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ}**[17].

ولهذا كله، كان للقرآن تأثيره وفاعليته في نفوس المؤمنين المتدبرين العاقلين. قال تعالى: **{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ...}**[18]

والقرآن الكريم منهاج كامل وشامل جاء بكليات الشريعة والأصول، في العبادات والمعاملات، والأسرة والميراث، والجنايات والحدود، وأنظمة الحكم.

قال تعالى: **{وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**

---

14 انظر: في ظلال القرآن. للشهيد سيد قطب. الجزء الخامس ص167 إلى 169.

15 انظر: في ظلال القرآن. للشهيد سيد قطب. الجزء الرابع ص19 الطبعة الخامسة.

16 سورة الإسراء: الآية رقم 12.

17 سورة النحل: الآية رقم 89 .

18 سورة الزمر: الآية رقم 23.

فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ}[19].

ومن آيات الاقتصاد والمعاملات المدنية قوله تعالى: {وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً}[20].

ومن آيات الأحوال الشخصية والميراث والجنايات والحدود. قوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}[21].

وقال تعالى: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً}[22].

وقال تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}[23].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[24].

ومن آيات المعاهدات قوله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

---

19 سورة المائدة: الآيتان رقم 48، 49.

20 سورة النساء: الآية رقم 5.

21 سورة البقرة: الآية رقم 233.

22 سورة النساء: الآية رقم 7.

23 سورة المائدة: الآية رقم 45.

24 سورة النور: الآية رقم4

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[25].

وقال تعالى: {**وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ}**[26].

ومن آيات الدفاع العام قوله تعالى: **{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}**[27].

وقال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}**[28].

ومن آيات الحكم والقضاء، قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}**[29].

أما آيات الخلاق والأدب والسلوك.. فهي تملأ القرآن الكريم، وتستطيع أن تحس بها في كل آية من آيات القرآن. وعلى الجملة فهذا القرآن به كل ما يهم المسلمين من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها.

ومن هذا المنطلق.. كان هو القادر على حل مشاكل الناس وتنظيم العلاقات الإنسانية كلها.

وكان هو وحده مناط الثقة وموضع اليقين. لأنه من عند الله. وما كان من عند الله كان أتم.

وهو وحده القادر على تحديد علاقة المسلم بالوجود كله، وبالكون وبما يغص به هذا

---

25 سورة الأنفال: الآية رقم 61.

26 سورة الأنفال: الآية رقم 58.

27 سورة البقرة: الآية رقم 190.

28 سورة الأنفال: الآيتان رقم 15، 16.

29 سورة النساء: الآيتان رقم 58، 59.

الكون من ناس وأشياء.

ففي باب العقيدة.. دعا إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة والتعظيم والتمسك بما شرع الله من أداب العبادة والفرائض.

وفي السياسة.. دعا إلى الشورى، واحترام حقوق الإنسان، والتزود بكل أسباب القوة.

وفي النظام الأخلاقي.. دعا إلى خلوص النية، ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير، والحق، والتزام الأداب الفردية والاجتماعية التي تسير بالإنسانية إلى الكمال والتقدم.

وفي النظام الاجتماعي.. دعا إلى الأسرة المتماسكة القائمة على ركائز المودة والرحمة، والإخلاص، والاحترام، والتعاون، والتعارف، وقيام كل راع بمسئوليته.

وفي النظام الاقتصادي.. دعا إلى تبادل المنافع، واتخاذ المال وسيلة لا غاية، واحترام الملكية الفردية.

وفي النظام التشريعي.. قام على أصول رئيسية واسعة. وقد تمثلت هذه الناحية في ثروة من الفقه الإسلامي.

وفي النظام الثقافي.. دعا إلى طلب المعرفة أيّاً كانت، واستخدام العقل في كسب المعارف.

وفي النظام الفكري.. دعا إلى استقلال الإرادة، وحرية الفكر.. ولم يقف عند هذا الحد. بل وضع القواعد الأساسية لوزن المعلومات، وتمييز صحيحها من زائفها.. فقرر أن المسائل لا تأخذ طابعاً علميا، ولا ترتقي إلى درجة حقائق إلا إذا قامت عليها بينة.

قال تعالى: **{وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}**[30].

ولعل كل هذا يجعلنا ندرك.. أننا في أشد الحاجة إلى القرآن الكريم. لا لنقرأه في المناسبات والاحتفالات وعندما يموت كبير قوم.. ولا لنردده بين حين وآخر لكسب رضى عواطف بعض الناس.. وإنما نحن في حاجة إلى القرآن لنطبق ما جاء به، ونعمل بتعاليمه وتوجيهاته.. كليا وجزئيا. في جميع الشئون.

والنظام السياسي في القرآن الكريم، نظام مستقل متميز. لا تنطبق عليه المصطلحات

---

30 سورة الإسراء: الآية رقم 36.

التي تتردد في قواميس السياسة المعاصرة، فهو ليس ديمقراطيا ولا دكتاتوريا، ولا إمبراطوريا، ولا اشتراكيا، ولا رأسماليا.

"وليس مما يرفع شان الإسلام أن نطلق عليه مثل هذه الأسماء والمصطلحات لأن الإسلام نظام متميز مستقل له من مبادئه ونظمه في السياسة والحكم ما يستطيع أن يفاخر به سائر الأنظمة التي عرفها الإنسان"[31].

والواقع أننا لسنا في حاجة إلى الدخول في تجارب أنظمة البشر لأن هذه المذاهب عجزت عن حل مشاكل الناس.. وعلينا أن نجرب الحكم بالقرآن، ونمشي بنظام سياسة الإسلام.. وفي ذلك النجاح. كل النجاح، والفلاح كل الفلاح.. ولعلنا نبدأ في التجربة بدلا من التخبط في المنطق الجدلي ((الديالكتيك)) والتحليل المادي للتاريخ. وحتمية الصراع الطبقي.

إن النظام الإسلامي يقوم على أساس الإيمان بالله، ويستمد نظرته إلى الكون والإنسان والحياة كلها من هذا الإيمان.

---

31 _ معالم الثقافة الإسلامية: للدكتور عبد الكريم عثمان الطبعة الثالثة ص173.